

## الفكر الإسلامي والفكر اليهودي: (\*) بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل

هاقلازاروس - يافه

I. سأحاول في هذا البحث أن أرسم معالم مخطط منهجي عام لدراسة وبحث بعض جوانب الثقافة اليهودية - العربية، وأعطيتها مكانها اللائق بها، وأقصد بذلك أنها ستتحرر من الهيمنة والخضوع التام ضمن دائرة الدراسات اليهودية وتأخذ مكانها الصحيح في سياق الدراسة المقارنة للدين والتأثيرات الدينية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالإسلام.

وأقصد من عبارة «الثقافة اليهودية - العربية في العصور الوسيطة» ذلك الجزء من التراث العلمي اليهودي في كافة أشكاله التي كتبت في ظل الإسلام، وعادةً باللغة العربية ولكن بالأحرف العبرية، منذ فترة سعديا جاعون إلى الأيام الأخيرة لموسى بن ميمون وابنه إبراهيم. وهذه الثقافة، في رأيي - وأنا هنا أقتفي حُطى أستاذه غويتاين - ليست مجرد ثقافة يهودية كتبت بالعربية، وإنما ثقافة يهودية - إسلامية. وعليه فإنه لا يكفي أن نشير إلى أن العلماء اليهود الذين كتبوا بالعربية في هذه الفترة (من حوالي القرن الثامن إلى نهاية القرن الثالث عشر) قد تأثروا بالأفكار التي كانت سائدة آنذاك في العالم الإسلامي، بل إن إنتاجهم العلمي ينبغي أن يدرس باعتباره ثمرة فترة تكونت على مدى مئات السنين من الإبداع والخصوبة الثقافية التي ازدهرت في ظل الدينين - وكذلك ينبغي النظر إلى أن استخدام هؤلاء اليهود للغة العربية لم يكن مجرد وسيلة استخدموها للتعبير عن آرائهم؛ بل باعتباره جزءاً

---

Hava Lazarus - Jafelh: Judaism and Islam: some aspects of mutual cultural influences; in: (\*)  
Some religious aspects of Islam. Leiden 1981. pp. 72 - 89. والمقالة من ترجمة ابو بكر

لا يتجزأ من ثقافة دينية استوعبها وتمثلوها.

إن الدارس الحديث للأنماط الثقافية على علم ودراية لتقدير مدى استيعاب أو تمثل تأثيرات ثقافة ما على أخرى، وكذلك على دراية بالشروط المسبقة التي مكنت لهذا الاستيعاب أو التمثل. وربما اقتبسنا هاملتون جب، المستشرق المرموق، الذي درس تأثير الإسلام على حركة البعث الأوروبي<sup>(1)</sup> كنموذج يحتذى. بحيث تشكّل الأطروحات الثلاث الأساسية في دراسته نقطة انطلاق لدراستنا تأثير الإسلام على الثقافة اليهودية - العربية الوسيطة. ولقد عدّ جب، فيما عدّ، القوانين التالية:

1 - لا توجد ثقافة ما تستطيع أن تستوعب تأثيرات ثقافة أخرى ما لم تمتلك الثقافتان بعض الخصائص المتشابهة وذات الصلة ببعضها البعض وأن تكون هنالك أرضية قد أعدت لنشاطات مماثلة، ويصيح جب قانونه بالصورة التالية: «تسبق دائماً التأثيرات الثقافية بنشاط قائم فعلاً في حقول ذات صلة، وتخلق هذه النشاطات القائمة عامل جذب لا يمكن بدونها قيام أي تمثل إبداعي للثقافة الأخرى».

2 - يعدّ تمثّل واستيعاب التأثيرات الأجنبية علامة أو إشارة على حيوية الثقافة أو الدين المتلقي لهذه التأثيرات: («إنّ الأكثر نفعاً أن تأخذ لا أن تُعطي») ولكن «تستدعي العناصر المستعارة توسيع حيوية الثقافة المتلقية فقط إذا استطاعت أن تحصل على غذائها من النشاطات التي قادتها للاستعارة أصلاً».

3 - المؤشر الإضافي لحيوية الثقافة المتلقية يظهر إذا ما حصرت هذا التأثير الأجنبي ضمن حدود معينة، مانعةً له بذلك من أن يصبح قوياً أو ماسخاً لركائز وأسس الثقافة المتلقية (المستوعبة). «والثقافة الحية تتجاهل بل وترفض كل العناصر التي تتعارض مع قيمها الأساسية أو مواقفها العاطفية أو معاييرها الجمالية».

(1) أنظر مقالة: John H.A.R. Gibb, «The Influence of Islamic Culture on Medieval Europe»;

Rylands Library Bulletin, Vol. 38, 1955/56 pp. 82-98.

وعلى وجه الخصوص الصفحات 85 - 87.

وليس هنالك من شك أن كل هذه القوانين صادقة، وربما كانت أيضاً صادقة على وجه الخصوص فيما يتعلق بالعلاقة المتبادلة بين اليهودية والإسلام. فالتشابه المذهل بين هذين الدينين الموحدين، واللذين يعبران عن ذاتيهما عن طريق نصوصٍ وشرعٍ مكتوب وقانون شفوي (هالاخا والشرعية) والحاضرين منذ البداية، يعطي انطباعاً بوجود علاقة خاصة جداً بينهما. ولقد أدى ذلك إلى استعارة متبادلة واسعة بينهما. فكما هو معروف ضمّ الإسلام عناصر يهودية عديدة في سنوات نشأته وخلال فترة تشكله مما كان سبب اتخاذ العديد من العلماء اليهود موقفاً متسامحاً جداً إزاءه مقارنةً بمواقفهم إزاء الأديان الأخرى. بل ولقد صرّح بعضهم وبجلاء أن الإسلام دين توحيد بصورة صارمة، وأكدوا على اختلافه عن المسيحية في جوانب أساسية<sup>(1)</sup>. وفي المقابل، فإنه من المؤكد أن اليهودية قد استعارت واستوعبت تأثيرات إسلامية بتحفظ. وكما سنرى، كان هذا التحفظ قوياً على وجه الخصوص في ميدان التصوّف، فلقد نفر العلماء اليهود من شطحات المتصوفة المسلمين، وإن تأثر العديد منهم بتعاليمهم. وكذلك أصبح من المعروف أن معظم المادة الإسلامية التي استوعبتها الثقافة اليهودية قد كُتبت وتطورت ضمن سياق يهودي واضح.

ويظهر لي أن مجال العلاقات اليهودية الإسلامية أكثر تنوعاً مما قد يتوقع إن انطلقنا في ضوء قوانين هـ. جب وحدها. إذ توجد، على الأقل، ثلاثة وجهات نظر هامة وممتعة ينبغي أن تضاف لقوانين جب حتى نتمكن من معرفة هذا المجال بصورة مناسبة وصحيحة.

1 - من المعروف أنه بالإمكان التعرّف على فترتين متميزتين في العلاقات المتبادلة بين اليهودية والإسلام. ففي الفترة الأولى - وهي تشمل القرن السابع

(1) أنظر على سبيل المثال فتاوى موسى بن ميمون، خاصة ترجمتها إلى العبرية، المجلد الثاني ص 726 وما بعدها. على أن هذا لا يعني أن الحكماء اليهود، بما فيهم موسى بن ميمون، امتنعوا عن التأكيد على الفروق الأساسية بين اليهودية والإسلام ونقاط الاختلاف بينهما، أنظر على سبيل المثال المرجع السالف الذكر، في الفصل الثاني.

وربما القرن الثامن الميلادي أيضاً - أثرت اليهودية أكثر من أي دين أو ثقافة أخرى على الإسلام وبصورة قوية، ذلك الدين الجديد الذي كان في طور التشكل. أما الفترة الثانية - وهي تمتد من القرن الثامن الميلادي، وعلى وجه الخصوص من القرن التاسع فما بعد - كان للإسلام، والذي كان آنذاك قد أصبح ثقافة غنية ومرتبّة، تأثير عميق على الثقافة اليهودية. ومن الأمثلة التي قد توضح هذا النوع من التفاعل: النية (أو ما يعرف بالعبرية «كافانا» - ويُقصد به التهيؤ المصاحب للقيام بعمل ديني ما) على ما يظهر في المصادر اليهودية، وعلى وجه الخصوص التلمودية<sup>(1)</sup>، إذ كان للمفكرين المسلمين، وبالذات للعبّاد والمتصوفة منهم تأثير كبير في هذا المجال. وقد انتشر منذ وقت مبكر أثر، أسند إلى النبي (ﷺ)، أو أسند إلى بعض المتصوفة: «نية المؤمن خير من عمله» أو «إنما الأعمال بالنيات». ولكن الفكر الفقهي الإسلامي، الذي يميل إلى الشكلية، حوّل هذا المفهوم إلى صيغة تقال (والتي أحياناً قد تحرمها بالفعل من جوهرها أو روحها): بحيث يجب على كل مؤمن أن يتلفّظها، قبل أن يقوم ببعض الشعائر، معلناً أنه يقوم بها بالنية المعلنة. ويقوم بذلك في شكل ترديد الصيغة التالية: «نويت القيام بصلاة الفجر (أو الظهر... إلخ)». ومن هنا فإنها مجرد خطوة عن الصيغة اليهودية المقبولة عموماً. ويظهر أن الدوائر اليهودية المتدينة (في فترات متأخرة جداً) قد قبلتها وترجمتها إلى العبرية عن الصيغة الإسلامية لتأخذ الصيغة التالية: «إنني جاهز ومستعد لأداء الصلاة أو الشعيرة الفلانية...». وهكذا تكتمل الدائرة، لكننا سنكون محقّقين في التساؤل عما إذا كان هذا المفهوم كان سيتطور في اليهودية بهذه الصورة الشكلية دون تأثير الإسلام<sup>(2)</sup>.

(1) أنظر على سبيل المثال المشنا، كتاب الباركوخت، الجزء الخامس، الفقرة 1 (أنظر الترجمة الإنكليزية التي قام بها H. Danby لمطبعة جامعة أكسفورد): «ليس هناك من يستطيع أن يقوم بالصلاة عدا أن يكون في حالة صحو. ولقد اعتاد الأتقياء الانتظار لساعة قبل أن يقوموا للصلاة حتى يكونوا متأكدين من خشوعهم».

(2) S.D. Goitein, Jews and Arabs, Their Contacts Through the Ages, Schocken, New York, 1955, pp. 178-179.

2 - لقد قامت العلاقات المتبادلة بصورة دائمة بين هاتين الثقافتين - اليهودية والإسلام - في حضور ثقافة دينية ثالثة لها علاقات قوية بكل من اليهودية والإسلام، ونقصد بذلك المسيحية. إن هذا الحضور المسيحي الدائم ترك بصماته على العلاقة المتبادلة لهذه الأديان وليس في فترات تاريخية معينة، مثل ما كان في الأندلس سواء أكان المسلمون أم المسيحيون هم الحاكمون. وعلى سبيل المثال، يعتبر الإسلام اليهودية والمسيحية منتميين من جوانب متعددة إلى نفس الفئة من الأديان. فهما أولى الأديان التوحيدية التي يقرها الإسلام، وإن كان (المسلمون) يرون أن الإسلام قد هيمنَ عليهما ونسخهما.

ولقد أعطى الإسلام «أهل الكتاب» أو «أهل الذمة» كما كان اليهود والمسيحيون يُسمَّون، الحماية والحرية لممارسة شعائرتهم الدينية، على أن بعض الإجراءات المهيمنة قد فرضت عليهم، وإن لم تكن هذه التعليمات دائماً مطبقة<sup>(1)</sup>. أما اليهود، فلقد اعتبروا الإسلام ديناً مشابهاً للمسيحية (كما فعل يهودا هاليفي، في مؤلفه كوزاري، الكتاب الرابع، الجزء 11)، أو اعتبره نقيض المسيحية (كما فعل أمثال ابن ميمون في فتاويه)، ونادراً ما تعاملوا مع الإسلام بصورة منفردة دون ربطه بصورة أو أخرى بالمسيحية. لقد خلق هذا الحضور الدائم أيضاً مشاكل منهجية، وبالذات فيما يتعلق بدراسة الإسلام المبكر. لذلك أخذت بعض العناصر اليهودية طريقها إلى الإسلام عن طريق المسيحية، بعد أن مرّت هي نفسها بتغيرات قبل أن يتبنّاها الإسلام.

3 - تقودنا هذه النقطة إلى سمة رئيسية وأساسية في العلاقة بين اليهودية والإسلام (وقد نضيف والمسيحية) في المشرق العربي الوسيط: فلقد قام نوعٌ من التضامن الديني الثقافي الوثني، الذي هدد في مظهره العربي الفلسفي

(1) العديد من مثل هذه التعليمات (عهد عمر مثلاً) تبناها الإسلام من التشريعات البيزنطية المعارضة لليهودية، أنظر مثلاً:

A.S. Tritton, The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, London, 1930.

وموسوعة الإسلام، مادة «ذمي».

وجود هذه الأديان التوحيدية نوعاً ما<sup>(1)</sup>. ولذا فقد كان تعاونها وتضامنها الروحي مدهشاً، ولم يحدث له مثيل في أيّ من فترات التاريخ الإنساني قط. ويظهر أن هذا التضامن أو التآزر الروحي لم يكن ليتم ويتطور لولا وجود الخلفية الثقافية الخاصة التي كانت للإسلام الوسيط في المشرق العربي. ولقد كانت اللغة العربية الغنية والمتقدمة في مصطلحاتها الدينية والفلسفية معيناً اغترف منه مفكرو وعلماء هذه الأديان الثلاث عاملاً إضافياً. وكمثال على هذه الوحدة الروحية الفريدة: لقد لوحظ منذ زمن أن كتاب العالم اليهودي بهاء ابن باقودا «الهداية إلى فرائض القلوب» والذي كتبه بالعربية، يحتوي على فصل بعنوان «باب الاعتبار بالمخلوقين». وهذا الفصل يشبه بصورة مدهشة كتاب «الحكمة في مخلوقات الله» وهو من الكتب التي تُعزى للإمام الغزالي (توفي 1111) وهو واحد من أعظم المفكرين المسلمين. والعديد من فقرات هذين الكتابين متطابقة كلياً ومحتوياتها العامة واحدة: فكلا الكاتبين يمجّدان الله في خلقه وفي الطبيعة وفي خلقه للحيوانات والإنسان، ويصف كلاهما وبنفس التفاصيل عجائب الجسم البشري

(1) لقد أكد على هذا بالذات J. Guttman، أنظر على سبيل المثال كتابه: فلسفات اليهودية، ومقالة:

«Religion u. Wissenschaft in Mittelalterlichen u. Modernen Denken» in Festschrift zum 50. Bestehen der Hochschule für die Wissenschaft des Judentums, Berlin, 1922, pp. 146-210.

كذلك فإنه على الرغم من الشعور بالتعايش - فلقد انتعش في العصور الوسطى أيضاً فن الردّ والجدل والنقد وبالذات الردود والنقد الإسلامي لليهودية والنصرانية، مما أُلّف من أسلم من النصراني واليهود. أنظر على سبيل المثال:

M. Perlmann, «The Medieval Polemics Between Judaism and Islam», in «S.D. Goitein (ed.) Religion in a Religious Age, Association for Jewish Studies Ktav Publishing House, New York, 1974, pp. 103ff.

وعلى وجه الخصوص مسرد المراجع المذكورة على الصفحات 135 - 138. كذلك أنظر كتاب:

Shaykh Damanhuri on the Churches of Cairo, University of California Press, 1975.

كذلك أنظر كتابي:

«Studies in Al-Ghazzali, Jerusalem, 1975, Appendix A.»

(وما يزال فن الردود الإسلامية واليهودية منتعشاً حتى يومنا هذا).

وتطوره من ماء مهين إلى مضغة فعلة . . إلى إنسان ناضج . ولقد كان يُعتقد ولفترة طويلة أن بهاء قد نسخ كتاب الغزالي حرفياً، ذلك لأن افتراض العكس كان غير ممكن . لكن ولأنه قد ثبت ولأسباب تتعلق بالترتيب الزمني استحالة ذلك (فلقد أصبح من المقبول عموماً أن بهاء قد عاش وعمل في أسبانيا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وذلك بحسب ما ذكره موسى بن عزرا المتوفى 1135)<sup>(1)</sup> لذلك فإن الباحثين قد تعجبوا من هذا التشابه بل والتطابق بين هذين الكتابين . ويبدو أن بانيت Baneth قد حلّ هذه المشكلة، فلقد اكتشف مخطوطاً يظهر أنه أصل الكتابين، وقد كان يظن خطأً أنه من تأليف الجاحظ<sup>(2)</sup> . ونصل هنا إلى أكثر النقاط إثارة في هذه المسألة: فلقد أكد بانيت أن الكتاب قد ألفه كاتب عربي مسيحي، وأن الكتابين الأخيرين المسلم واليهودي قد استعارا معظم المادة العلمية عنه . وهذا المخطوط المسيحي المبكر ذو صبغة دنيوية أكثر مما يظهر في الكتابين التاليين، ولا يتكلم عن دين معين، لكنه يذكر التراث المسيحي واليوناني (الإغريقي) ويأخذ في بعض المسألة موقفاً مسيحياً واضحاً (مثل ما يتعلق بصفات الله) . ولقد كيّف كلٌّ من بهاء بن باقودا والغزالي هذا الكتاب، متمشياً مع روح دينه، وذلك عن طريق إضافة آيات من التوراة

(1) أنظر:

P. Kokowzoff, «The Date of Life of Bahya ibn Paqoda» in: Livre d'Hommage a la memoire du Dr. S. Poznanski (1864-1921), Varsovie, 1972, pp. 13-21.

(2) أنظر:

D.Z. Baneth, «The Common Theological Source of Magnes: Bayha ibn Paqoda and Ghazzali.

أنظر كذلك على سبيل المثال:

Anniversary Books, Jerusalem, 1938, pp. 23-30.

وللاطلاع على رأي مخالف أنظر:

G. Vajda in REI, Vol. (XII, 1953, p. 21).

H.R.A. Gibb. «The Argument from Design; A Mu'tazilite Treatise Attributed to Al-Jahiz» Ignaz Goldziher Memorial Volume I, Budapest, 1948, pp. 150-162).

كذلك أنظر:

J. Van Ess: «Die Gedankenwelt des Ḥarīṭ-al-Muḥāsibī, Bonn, 1961, pp. 170-173; Studies in Al-Ghazzali, p. 30-31.

أو القرآن أو من أقوال الحكماء اليهود ومن الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة . ولقد استخدم بهاء مصدره بصورة فيها تصرف ؛ بينما الغزالي ، وبطريقته المعتادة ، تابع الكتاب حرفياً تقريباً . وفي الواقع يقدم هذا المثال بالفعل نموذج تعاون روحي صميم : كتاب واحد حول موضوع ديني محدد في ثلاث صياغات ، كلها مكتوبة بالعربية ، كلها من مصدر مسيحي ، والنسخة اليهودية والإسلامية التي اشتقت منه ، تحمد وتعظم الله في عجائب خلقه .

وكذلك علينا أن نذكر أيضاً نشاط الترجمة المنطلق الذي كان قائماً - في الفترات الأولى المبكرة في العصور الإسلامية من اليونانية إلى العربية ، أحياناً عن طريق السريانية وفي نهاية العصور الوسيطة من العربية إلى اللغات الأوروبية ، وأحياناً عن طريق العبرية . وفي خضم هذا النشاط تعاون علماء من هذه الأديان الثلاث بصورة مذهشة ، حيث إنهم جميعاً كانوا مهتمين بنفس المواضيع . على أن هذه الحقيقة تنتظر الدراسة والبحث بعمق من منظور الدراسات المقارنة للدين وستقود مثل هذه الدراسات دون شك إلى تفاصيل مذهشة عديدة ، مثلاً في دراسة المصطلحات الدينية المقارنة .

II . لقد لاحظنا إلى الآن بعض جوانب العلاقة المتبادلة بين اليهودية والإسلام من الخارج ، ولقد أكدنا على الاتصالات أو الاحتكاكات بين الثقافتين وتفاعلهما وعلاقتهما المتبادلة . ومن الجلي أن مثل هذه الملاحظة ضرورية ، لأنه بالنظر من «الخارج» يمكن للدارس أن يحصل على الصورة العامة لموضوعه ، وفي هذه الحالة العلاقة بين الثقافتين ، والتي بدونها قد يصبح محصوراً في تفاصيل قد لا تمكنه من التعرف على الصورة العامة الإجمالية بصورة واضحة . لكن مع ذلك فإن هذه الظاهرة يجب أن تدرس الآن من الداخل حتى نتمكن من ملاحظة خصائصها الثقافية وأبرز صفاتها .

ولكن قبل القيام بذلك ، يجب أن نواجه مشكلة منهجية هامة أضلت العديد من العلماء النابهين . وينطبق هذا على وجه الخصوص فيما يتعلق بدراسة التأثيرات اليهودية على الإسلام في مراحل المبكرة ، أكثر مما هو الحال في تأثير الإسلام على اليهودية . وأود هنا أن أشير إلى ميل واسع الانتشار



يحاول أن يعزو كل ظاهرة في أي من الثقافتين إلى التأكيد على تأثير الثقافة المبكرة على المتأخرة. ولقد حذر كل من جايجر Geiger في مقدمة كتابه المعروف «ماذا استعار محمد من اليهودية» (الصادر في ليبتيغ 1833) وجولدتسيهر Goldziher في كتاباته المختلفة ضد هذا التوجه فيما يتعلق بالعلاقة بين اليهودية والإسلام. بل لقد أبدى جولدتسيهر بعداً شخصياً لهذا الموضوع، إذ كتب عن تأثيرات فارسية ومسيحية وبوذية وغيرها من تأثيرات على بعض جوانب الإسلام، لكنه توقف عن كتابة مقالة مخصصة شاملة عن التأثيرات اليهودية، على الرغم من أنه ذكر العديد من الملاحظات الهامشية العديدة وكتب العديد من المقالات القصيرة حول الموضوع<sup>(1)</sup>. وعليه فإن الحذر في هذا الموضوع ضروري. ويجب أن يقبل كقاعدة عامة أن التطورات والظواهر المتشابهة في ثقافات مختلفة قد لا تكون بالضرورة نتيجة لتأثير إحداها على الأخرى، وإنما قد تكون نتيجة لظروف خارجية مشابهة أو بسبب ضرورة دينية وربما كانت بسبب تطورات بعض المؤمنين أو الجماعة ككل أو حتى قد تعود إلى مجموعة من المؤثرات المختلفة. وربما تتضح الصورة ببعض الأمثلة:

فكما هو معلوم على المسلم أن ينظف نفسه بالماء (يتوضأ) قبل القيام بأداء الصلاة. وربما افترض أن مفهوم التطهير أو النظافة هذا قد أخذه الإسلام عن اليهودية<sup>(2)</sup>، وإن كانت هذه العادة شائعة في العديد من الأديان. ويسمح كل

(1) S.D. Goitein, «Goldziher as seen through his letters» Goldziher Memorial Volume I, pp. 18-19.

مع تلخيص بالإنجليزية (ص 432).

بطبيعة الحال ليس هناك من شك أن معرفة جولدتسيهر باليهودية سهّلت عليه المقارنة بالإسلام. أنظر على سبيل المثال:

J. Fück, Die Arabischen Studien in Europa, Leipzig, 1955, p. 227.

(2) أنظر: A.J. Wensinck, «Die Entstehung der Muslimischen Reinheitsgesetzgebung; in: Der Islam Vol. V, 1914, pp. 62-80.

كذلك أنظر التفاسير الإسلامية على السورة التاسعة، الآية 108.

من الإسلام واليهودية لمعتنقيهما أن يستخدموا التراب (التيمن) وبعض الوسائل الأخرى إذا لم تتوافر المياه<sup>(1)</sup>. وعند هذه النقطة من الضروري أن نكون دقيقين، فقبل التأكيد على أن هذه التفاصيل أيضاً إنما هي دليل على تأثير اليهودية على الإسلام، ينبغي علينا أن نذكر احتمالاً مرجحاً هو أنه في ظروف مشابهة يحتمل أنها قد أدت إلى تطورات مشابهة: فكلما الدينين ولد وانتشر في الصحراء حيث ندرة الماء. وعلى الرغم من أن القوانين اليهودية التي لها علاقة بالطهارة قد تمت صياغتها في وقت متأخر جداً (وليس في المرحلة اليهودية الصحراوية)، إلا أنه ليس من المستحيل أن تكون ذكريات الصحراء قد بقيت حية ولفترة طويلة جداً حتى بعد أن أصبح اليهود من الحضر المستقرين. لذلك فإنه مما لا شك فيه أن هذه الممارسة الدينية يمكن أن تكون تطورت في المراحل الأولى من الإسلام كنتيجة لضروراته الملحة والطبيعية، دون أن يكون ذلك بسبب تأثيرات خارجية. وما يصدق على المسائل الفقهية التفصيلية قد يصدق أيضاً على المسائل الدينية الأساسية، إذ يبقى الإنسان إنساناً في كل مكان وتظهر أفكاره الدينية في شكل نماذج متشابهة.

وكمثال آخر نجد أن لدى اليهودية والإسلام، ولديهما فقط، شرع شفوي بالإضافة إلى الشرع المكتوب. لكنه من المشكوك ما إذا كان وجود هذه الظاهرة في الإسلام كان بالضرورة بسبب تأثير اليهودية. صحيح أنه عند بدء تدوين الشرع الشفوي «السنة» عند المسلمين، والذي يتكون أساساً من أقوال وأفعال النبي وصحابته، استخدم معارضو تدوينها نفس الحُجج التي قال بها الحكماء اليهود الذين عارضوا كتابة الشرع الشفوي (وذلك بقولهم «هل سنجعل التوراة توراتين؟») ويفترض أن المسلمين قد أثاروا مع المعارضين مثال اليهود، الذين دونوا وكتبوا شرعهم الشفهي. على أن جولدتسيهر يرفض وبشدة افتراض وجود أي تأثير يهودي مباشر في هذه الحالة<sup>(2)</sup>. وفي الواقع يبدو جلياً أنه من

(1) أنظر موسوعة الإسلام، مادة «تيمن» وكذلك أنظر التلمود البابلي، الباخوت، 15أ.

«إذا لم يجد المرء ماءً لغسل يديه فإن بإمكانه مسح يديه على الأرض أو بالحصى أو بالغبار».

(2) أنظر (بالعبرية):

الممكن افتراض أنه عاجلاً أو آجلاً سيظهر الشرع الشفوي في دين له شرع مكتوب أو مدون، وذلك للإجابة على أسئلة وضرورات جديدة تظهر بصورة مستمرة وليس لها إجابات في الشرع المكتوب المدون. وطالما ظهر هذا الشرع الشفوي، وتوسع وأصبح مليئاً بالتعارضات، فإنه سيكون من الطبيعي أن يُدَوَّن للحفاظ عليه ضمن حدود. كذلك فإنه من الطبيعي أن تواجه مسألة مثل مسألة التدوين هذه بمعارضة شديدة، لكن تدريجياً سيأخذ هذا الشرع الشفوي مكانته إلى جانب الشرع المدون المكتوب، وربما يطغى عليه، سواء في ما يتعلق بمسائل العقائد أو الممارسات الشعائرية كما حدث في اليهودية والإسلام. ولقد ذكر بعض الفقهاء وبجلاء أن الشرع الشفهي «السنة» النبوية قد تنسخ بعض آيات القرآن (الشرع المكتوب) كلام الله! وتؤكد كل من اليهودية والإسلام وبصورة واضحة أن الشرع الشفوي المتأخر مقدس وملزم بنفس القدر الذي لكلمات الشرع. ولقد صاغ ذلك في اليهودية، كما هو معروف، الربّي اليهودي بن ليفي: «إن كل ما قد يُثير طالب علم متفوق لمعلميه في المستقبل، سبق أن قيل لموسى على جبل سيناء». (تلمود يروشلامي، حاجيجه 1، 8) وفي الإسلام هنالك الإشارة إلى حديث يُنسبُ إلى النبي (ﷺ): ما قيل من قول حسن فأنا قلته<sup>(1)</sup>.

ودعني الآن أختتم هذا النقاش المنهجي بمثال آخر، وهذه المرة لتوضيح إمكانية وجود تأثيرات مختلفة متعددة. فالحج أحد الشعائر الأساسية في الإسلام، إذ يقوم المسلم على الأقل مرة في حياته بزيارة الأماكن المقدسة في مكة وما حولها. يؤكد كاتش Katsch أن هذه الشعيرة قد تم تبنيها من اليهودية، وذلك من إحدى وصايا الكتاب المقدس «على كل ذكوركم الظهور أمام الرب ثلاث مرات في السنة» (أنظر سفر الخروج XXIII، الفقرة 14 وما بعدها، وكذلك التثنية، الفقرات 16 - 17)<sup>(2)</sup> وواضح أن هذا الافتراض لا يقوم على دليل،

G. Weil, «Oral Tradition in Judaism and Islam» Magnes Anniversary Book, Jerusalem, = 1938, pp. 132-142.

(1) أنظر الفصل الثاني، ص 44:

I. Goldziher, Vorlesungen über den Islam, Heidelberg 1925.

(2) أنظر:

على الرغم من أن الشعيرة في اليهودية أقدم منها في الإسلام، وعلى الرغم من أنها من تعاليم الدينين. ولقد كان الحج واحداً من الممارسات الدينية الشائعة في جزيرة العرب حتى في الجاهلية (وبطبيعة الحال ظاهرة مميزة في معظم الأديان في العالم). ولقد احتفظ الإسلام بطقوس وشعائر الحج الجاهلي لكنه أعطاها تفسيراً توحيدياً ودمجها ضمن رؤيته الشاملة، كما فعلت اليهودية في تفسيرها للعديد من الشعائر والطقوس الوثنية التي بقيت فيها (وأود هنا أن أضيف، من وجهة نظري، أن إعادة التقويم لمثل هذه الشعائر والطقوس القديمة، وإعادة تشكيلها ضمن الإطار التوحيدي هو ما تظهره حيوية وقوة دين ما. لذلك فإن معارضة العديد من المؤمنين، سواء من اليهود أو المسلمين، ضد أي بحث يدرس مثل هذه التأثيرات إنما يظهر أنه ليس لهم أي فهم واضح للتقليد الديني الذي يتمون إليه).

وتوجد حالات عديدة، يمكن أن يُحدّد فيها التأثير المباشر لدين على الآخر بكل تأكيد. ويصدق هذا على وجه الخصوص بالنسبة لتأثير اليهودية المباشر على الإسلام. ولا يتعلق هذا فقط بمسألة المفاهيم والأفكار الأساسية، والإسرائيليات (قصص الكتاب المقدس) والفقه (وهو موضوع كان أول من كتب فيه جايغر وتبعه بعد ذلك كثيرون)<sup>(1)</sup>. وإنما كذلك هنالك العديد من التفاصيل المدهشة والدقيقة

A.I. Katsh, Judaism in Islam, Biblical and Talmudic Backgrounds of the Koran and its Commentators, New York: 1954.

وعلى وجه الخصوص سورة البقرة، ص 137 - 139، كذلك أنظر مراجعتي لترجمة هذا الكتاب إلى العبرية في مجلة «الشرق الجديد» 1958، ص 111 - 112.

(1) أنظر دراسة جايغر، التي تدرس فقط القرآن والتي ترجمها إلى الإنجليزية يونج في كتاب Jedaism in Islam مدراس، 1848. كذلك يجب أن يلاحظ هنا أن مادة الإسرائيليات التي قبلها الإسلام قد أسلمت وشرحها ووسعها من كتب من متأخري المسلمين في ما يعرف بقصص الأنبياء. بعد ذلك كان لهذه النصوص الإسلامية تأثير واضح على المدراس اليهودي المتأخر سواء في العبرية أو العربية، مما يؤكد مرة أخرى فكرة إكمال الدورة في العلاقة التي ذكرناها بين الثقافتين. أنظر على سبيل المثال:

J.Heinemann, Aggadah and Its Development

الأغاده وتطوره (بالعبرية) القدس، 1973، الفصل الثاني عشر (الذي يعالج موضوع المدراس =

التي تؤكد هذا التأثير. وسنقدم مثالين قبل أن ننتقل إلى المرحلة الثانية من التفاعل الإسلامي - اليهودي، والذي تأثرت فيه اليهودية وبصورة مباشرة بالإسلام.

من المعلوم أن صيام رمضان حلّ محل الصيام الإسلامي الأصلي الذي كان يتم في العاشر من محرّم، من المغيب إلى المغيب، تماماً كيوم التوبة اليهودي. وربما كان هذا التحول قد تمّ في الفترة التي كان محمد (ﷺ) قد ملّ علاقته مع اليهود ورغب في تجميد علاقاته باليهودية. ولكن حتى في فعل العزل والانفصال عن اليهودية، كان تأثير اليهودية كبيراً<sup>(1)</sup>. والآية القرآنية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (سورة البقرة، الآية 187) تقدم مثلاً مفيداً على ذلك إذ إنّ هذا التفريق بين الخيط الأبيض والخيط الأسود لا معنى له بالنسبة لبدو شمال جزيرة العرب؟ (حتى وإن حاول مفسّرو القرآن جاهدين أن يشرحوا هذه الآية في السياق البدوي). وربما كان مصدر هذه الآية المشنا، بارخوت واحد، الآية 2: «بدءاً من أي وقت يجب على الواحد أن يقوم بصلاة الصباح؟ من الساعة التي يمكن فيها التفريق بين الأزرق والأبيض». فاليهودي الذي يكون مغطى بشاله الأبيض الخاص بالصلاة والذي عليه أطراف زرقاء (تاليت) فإن هذه الكلمات يكون لها معنى حقيقي ينطمس عند انتقالها إلى مجال أجنبي عنها كلياً، ولذا تظل تنبئ وبدقة عن مصدرها ذلك لأنها في السياق غير المناسب، وبذلك تؤكد أن الإسلام في هذا الموضوع يحتمل أن يكون قد تأثر باليهودية. بيد أنّ الاحتمال الأكبر أن يكون اليهود قد أخذوا ذلك عن الإسلام.

وتنتمي إلى نفس الفئة فقرة من قصة يوسف في القرآن (السورة XII) وتفسيراتها. فلقد احتلت هذه القصة مكانة هامة في التراث الإسلامي، كما كانت في التراث المسيحي واليهودي قبل ذلك. ولقد قام العديد من

= المتأخر Pirkey de Rabb Eleizer هذا ودراسة قصص الأنبياء العلمية كجنس أدبي في العلوم الإسلامية بالعربية).

(1) أنظر أيضاً الفصل الخامس من كتابي: Some Religious Aspects of Islam

وخاصة الملاحظات البليوغرافية المذكورة في الحواشي 1 و2.

المستشرقين ممن لا يمكننا ذكرهم هنا فبحثوا ودرسوا مصادر هذه السورة. وسأتناول هنا جزءاً تفصيلياً ممتعاً وقصيراً من هذه القصة فقط. فبحسب القصة القرآنية (الآية 31) تكلم نساء المدينة عن زوجة العزيز (يوطيفار) وحبيبها يوسف. ﴿فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾. وعلى ما يظهر أنها أعدت فاكهة لضيقاتها. لكن اسم هذه الفاكهة لم يرد في القرآن. وحينما همّت النساء بقطع الفاكهة - أدخلت امرأة العزيز يوسف إلى الغرفة ولقد أدهش دخوله وجماله السيدات بحيث أنهن قد قطعن أصابعهن!

وهذه القصة موجودة أيضاً في الميذرashim اليهودي (على سبيل المثال في المذرash هاجدول) المتأخر وعليه، يحتمل أن يفترض أن يكون هذا قد استعير من مصادر إسلامية - وهكذا نرى مرة أخرى مثلاً على دائرية العلاقة بين الثقافتين. لكن نقطتي الأساسية هنا هي أن مفسري ميذرashim والتفاسير الإسلامية، معتمدة على تفاصيل عديدة للقصة، تقول إن الفاكهة المقدمة للنساء كانت الأترج، وهي فاكهة هندية غير معروفة كلياً في شمال جزيرة العرب. لذلك يحتمل أن يكون أمامنا هنا تقليد يهودي قديم ربما من التراث الشفهي ليهود جزيرة العرب كجزء من التراث المذرashi اليهودي المبكر. ولقد انتقل هذا التقليد عن طريق هؤلاء اليهود إلى الإسلام ومن الإسلام إلى اليهودية مرة أخرى. والدليل الوحيد الذي بين أيدينا على ذلك مسألة الأترج، تلك الفاكهة التي كانت معروفة منذ قديم الزمان في جنوب جزيرة العرب وفي الهند، ولكنها، كما ذكرنا، لم تكن معروفة على الإطلاق في شمال جزيرة العرب. أما بالنسبة للإسرائيليين فإنهم كانوا على معرفة بهذه الفاكهة، فلقد عرفوها في القرون الأولى من الفترة المسيحية بل وربما قبل ذلك، بل ربما حتى منذ فترة الأسر البابلي. وعليه فإنه يحتمل أن يكونوا هم الذين نقلوا هذه القصة إلى جيرانهم من العرب بالإضافة إلى قصة يوسف<sup>(1)</sup>. وهذه ليست الحالة الوحيدة التي احتفظ فيها القرآن أو الحديث

(1) أنظر الموسوعة اليهودية، المجلد الخامس، مادة «Ethrog». أنظر كذلك كتاب: =

النبوي أو التفاسير بمادة يهودية قديمة مما افتقدت كلياً أصولها عند يهود شبه جزيرة العرب، ولقد عادت لاحقاً إلى اليهودية عن طريق المصادر الإسلامية.

III. والحقة الثانية من تاريخ هذه العلاقات اليهودية - الإسلامية هي الفترة الطويلة التي حدثت فيها تأثيرات الإسلام على اليهودية. فلقد لاحظنا المشاكل المنهجية التي تشملها أو تقتضيها دراسة التأثيرات المتبادلة، مما جعل بعض العلماء يبالغون في تقويم تأثيرات اليهودية على الإسلام. ولذلك فإنه ينبغي أن نكون أكثر حذراً في دراستنا في هذه الفترة الثانية، حيث لا يزال الغموض يكتنف الظاهر والبارز منها، والتي ما تزال في مراحلها الأولى، على الرغم من أن العديد من الدارسين - غالبيتهم من اليهود - درسوا هذا الموضوع الهام منذ القرن التاسع عشر. ولقد نشرت أبحاثهم ودراساتهم في عشرات الكتب ومئات المقالات الصادرة في العديد من المجالات العلمية.

إن التأثير الفلسفي واللاهوتي (الكلامي) الإسلامي على الفكر اليهودي في العصور الوسطى أو على تاريخ وطريقة حياة اليهود الذين عاشوا في ظل الثقافة الإسلامية، أصبح الآن موضوعاً معروفاً تماماً - وربما كانت أبحاث ودراسات جولدتسيهر (والتي جمع معظمها J. Desomogyi في عدة مجلدات) هي التي قدمت الإطار العام للاعتراف بحقيقة أن المصادر الإسلامية احتوت على مادة واسعة وثرية لدراسة تاريخ اليهود وطريقة حياتهم الدينية. على أن هنالك قلة من العلماء (وبالذات غويتاين وفيدا وويدر وزوكر) ممن سنأتي على ذكرهم هنا ناقشوا تأثير المصطلحات والممارسات الإسلامية الدينية على التراث والممارسات اليهودية. ولقد أصبح كتاب غويتاين «مجتمع متوسطي» مصدراً أساسياً في هذا المجال، وإن كان إسهامه المهم إنما هو في وصفه التفصيلي وتحليله لتاريخ اليهود الاجتماعي والاقتصادي في ظل الإسلام في العصور الوسيطة.

---

S.D. Goitein, Jews and Arabs, p. 193.

هذا وبحسب وجهة نظر غويتاين هناك احتمال أن يكون هذا النص العربي عن قصة يوسف إنما تعود أصوله إلى الأدب الفارسي المبكر، أنظر ص 194 - 195.

ولقد درست الظاهرة اليهودية - العربية أساساً باعتبارها جانباً لسانياً (لغوي) للعربية - كما هو الحال بالنسبة للمسيحية - العربية، أو كجانب إضافي للعربية الوسيطة. وأحياناً لم يعطَ اهتمام يذكر لحقيقة أن اليهود لم يستخدموا الإغريقية أو اللاتينية في كتاباتهم الدينية (مع استثناء فيلون وقلة معه)، وبالتأكيد ليس بعد أن أصبحت هذه اللغات اللغات الرسمية للكنيسة. ولكن نجد في المقابل أن اللغة العربية لغة أساسية لليهود في الحديث والتراث الديني في مختلف جوانبه. وفي الواقع إن النظر الفاحص لهذه اللغة قد يساعدنا لفهم التأثيرات الدينية الكبيرة للإسلام على العلماء اليهود في العصور الوسيطة. ولقد نفذت عشرات المصطلحات الإسلامية إلى التراث اليهودي، حتى أن التوراة، قد وصفت بمصطلحات القرآن فأصبح يطلق عليها الكتاب والشرعة والمصحف والوحي وأم الكتاب بل وحتى: القرآن. وسميت فصول التوراة سوراً (على أن الآيات احتفظت بالاسم العبري «باسوق» وإن استخدم في الجمع، جمع التكسير العربي «بواسق») وسميت الشريعة الشفوية بالسنة أو الفقه وسمي الواعظ Contor إماماً كما هو الحال في التقليد الإسلامي، وأصبحت مدينة أورشليم «دار السلام» وإبراهيم «خليل الله» وموسى «رسول الله» كالنبي محمد. وسمي المسيح «القائم المنتظر» كما هو الحال عند الشيعة، وأصبحت الصلاة إلى الشرق تسمى «قبلة» كما هو الحال عند المسلمين. وهناك العديد من المصطلحات من هذه الفئة، هذا دون أن نذكر عشرات بل مئات الكلمات الدينية التي يمكن أن تصنّف على اعتبارها مجرد ظواهر لغوية من أمثال: «المؤمنون» و«النوافل» و«صلاة الجماعة» وكذلك «البدعة»، إضافة إلى حقيقة أن اليهود استخدموا أسماءهم العربية داخل المعبد (الكنيس) وفي عقود الزواج، إلخ... (على عكس ما كان عليه الحال في الغرب حيث لم يستخدم اليهود قط أسماءهم غير العبرية في الأغراض الدينية).

وهناك عبارات عبرية - عربية مثل «صلاة الحرث» أو «ليلة البسيّاح» ومصطلحات مثل «قاضي» و«مفتي» و«فتوى» واسعة الاستخدام<sup>(1)</sup>. وبالإضافة

(1) أنظر على سبيل المثال:



إلى كل هذه العبارات والمصطلحات، يزخر التراث اليهودي باقتباسات حرفية من القرآن والحديث - إضافة إلى اقتباسات من التراث الإسلامي، على أن بعض الكتاب استخدم هذه المصادر بصورة أكثر كثافة من غيرهم (فلقد استخدمها بهاء بن باقودا أكثر من إبراهيم بن موسى بن ميمون، وكذلك كان استخدام كتاب القرائن لها أكثر من معارضيهم من الربانيين). ولقد احتفظت الترجمات العبرية الوسيطة للكتب العربية، كما هو الحال في ترجمة إبراهيم بارشاسدي لكتاب «ميزان العمل» للغزالي بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في صياغتها العبرية، على أنهم يضيفون أحياناً آيات من الكتاب المقدس والحكماء اليهود<sup>(1)</sup>. ولقد أشار كُلٌّ من شتاينشneider و Steinschneider وأ. يهودا (في مقدمتهما لكتاب بهاء «واجبات القلوب») وغيرهم من العلماء إلى أن الترجمات العبرية للكتابات العربية وكذلك الحال بالنسبة للكتب العبرية المكتوبة بالعربية تحتوي على العديد من الاقتباسات من القرآن والحديث. وغالباً يغيّر العلماء اليهود الأسماء لكنهم نادراً ما يغيّرون الاقتباس نفسه. فمثلاً بدل من أن يسندوا الاقتباس إلى عائشة يسندون قولها إلى العالمة دوبرا، وبدلاً من كتابة «قال عمر بن الخطاب» يكتبون قال الربّي عكيفا Akiva ويستبدلون باسم أبي

J. Blau, The Emergence and Linguistics Background of Judaeo-Arabic, Oxford, 1965 p. = 158ff (Appendix II, C).

وأنظر كذلك مجلة ترييز، فصلية الدراسات اليهودية، المجلد XL، 1970، ص 512 - 514. وكذلك أنظر أيضاً النصوص العربية اليهودية العديدة مثل ما كتبه سعديا جاعون في كتابه سيدور (كتاب أدمية) وترجمته للكتاب المقدس إلى العربية في كتابه المشهور «كتاب الأمانات والاعتقاد». ويصدق الشيء نفسه بالنسبة للأدب اليهودي - الفارسي، أنظر على سبيل المثال:

H.H. Paper, A Judeo-persian Pentateuch, Jerusalem, 1972.

وقد يبرهن هذا أننا لا نتعامل فقط مع تأثيرات لغوية عربية وإنما مع تأثيرات إسلامية.

(1) الترجمة العبرية لهذا الكتاب نشرت مع مقدمة عبرية على يد J. Goldenthal عام 1839 تحت عنوان Compendium Doctrinue Ethica للإمام الغزالي الطوسي. أنظر كذلك:

M. Gottstein: Translation and Translators in the Middle Ages.

الترجمة والمترجمون في العصور الوسيطة (بالعبرية) القدس، 1953، ص 70 - 80.

حنيفة والشافعي اسم رافينا Ravina وراف أشي Rav Ashi وبدلاً من التعبير «قال رسول الله» يذكرون «قال أحد الرسل» أو «قال واحد من أبناء الأنبياء» وبدلاً من «أقوال الصحابة» يكتبون «من أقوال حكمائنا» وهكذا<sup>(1)</sup>. إضافة إلى ذلك فلقد وجد بين أوراق الجنيزا القاهرية المشهورة<sup>(2)</sup>، وفي أماكن أخرى آيات من القرآن (وبالذات المعوذتين) وشذرات من الأدب الديني العربي (مثلاً بعض الأبيات للحلاج أو المتقدمين أو من المنقذ من الضلال للغزالي) بالعربية ولكنها مكتوبة بالحرف العبري، وذلك على ما يظهر للمستخدم كتعاويد وتمائم وللدراسة. وفي العصور الوسطى كتب المصحف كاملاً بالحرف العبري، وربما كان ذلك لإخفاء حقيقة أن اليهود قرأوا ودرسوا القرآن - وذلك مما كان ممنوعاً وبشدة في الشرع الإسلامي. وعلى عكس ما يدّعيه بعض الدارسين، فمن يعتبرون استخدام الحرف العبري عند الكتابة بالعربية دليلاً «على أن التمثيل الروحي بين اليهود للثقافة الإسلامية كان أقل من تمثيلهم للثقافة الأوروبية الحديثة»، فإنني أشعر بأن استخدام اليهود للغة العربية كان أكثر من مجرد ظاهرة لغوية وكان لها نتائج دينية - ثقافية بعيدة المدى. ولم تكن اليهودية الوسيطة في المشرق العربي قد «عربت» فقط، وإنما حملت بصمات الإسلام في كل مجالات الحياة تقريباً وليس فقط الفلسفة والكلام (اللاهوت)<sup>(3)</sup>. وعلى الرغم من أن تأثير

(1) أنظر ترجمة A.S. Halkin إلى العبرية لكتاب موسى بن ياكوف بن عزرا (كتاب المحاضرة والمناظرة) وكذلك ما حرره أنظر:

A.S. Yahuda (ed.), *Al-Hidaja 'Ila fara' id Al-Qulub des Bachja Ibn Josef Ibn Paquda aus Andalusien*, Leiden, 1912, Chapter III.

(2) أنظر الموسوعة اليهودية مادة «جنيزا» وبالذات الملاحق المدرجة في المجلد السادس عشر. كذلك أنظر كتاب:

S.D. Goitein (ED.) *Religion in a Religious Age*, p. 139ff.

(3) أنظر رائعة: S.D. Goitein, *A Mediterranean Society*

وهو دون شك أهم وأوسع دراسة للجاليات اليهودية في العالم العربي في العصور الوسيطة، كذلك أنظر على وجه الخصوص المجلد الثاني: المجتمع المحلي The Community 1971. والمجلد الثالث: الحياة اليومية والفرد، 1976. أما بالنسبة للتأثيرات الخاصة، فأنظر على سبيل المثال:

الإسلام على اليهودية الشرقية الوسيطة أصبح من الأمور المعروفة والمسلّم بها اليوم بين الدارسين للتاريخ اليهودي<sup>(1)</sup> فإنه ما يزال هنالك تردد بين بعض العلماء فيما يتعلق ببعض التأثيرات الدينية الإسلامية<sup>(2)</sup>.

والأمثلة التالية (وبعضها معروف جداً، على أن بعضها غير واسع الشبوع) قد تساعد في توضيح ما نرمي إليه. على أنه ينبغي علينا أن نعي إمكانية التفسيرات المختلفة لنفس الظاهرة وينبغي علينا أن نكون حذرين حينما نخوض في هذه التفاصيل<sup>(3)</sup>.

والمثال الأول، وهو من مجال اللسانيات، لكن أهميته تتعدى هذا المجال العلمي ومهارة العرب اللغوية وتقديرهم وتعظيمهم للغة العربية، منذ فجر حضارتهم (أنظر مثلاً الشعر الجاهلي) قد تكون واحداً من الأسباب التي جعلتهم ينظرون إلى القرآن، كلام الله، على اعتبار أنه أكبر وأعظم معجزة وأقوى دليل على نبوة محمد (ﷺ) (فبحسب حديث - كان للأنبياء السابقين معجزات، وكانت معجزاتهم من

N. Wieder, Islamic Influences on Jewish Worship, Oxford, 1957. =

M. Zucker, «The Problem of 'Isma in Islamic and Jewish Literatures:

(مشكلة العصمة في الأدبين الإسلامي واليهودي) (بالعبرية) مجلة تربيز، فصلية الدراسات اليهودية، المجلد 35، 1966، ص 149 - 173.

(1) أنظر ما يلي:

A.S. Halkin. «Judaean-Arabic Literature», L. Finkelstein, The Jews, Their History, Culture and Religion, Vol. II, New York: 1960, pp. 1116-1148.

G. Vajda, Introduction a la Pensee Juive au Moyen Age, Paris, 1947.

(2) من الممتع أن نعترف بنفس الفضل لنفس التأثير العام ونفس التحفظ فيما يتعلق ببعض التأثيرات الدينية في دراسة التأثير الإسلامي على مسيحية الغرب. في مقابل هذا أنظر دراسة جورج مقدسي: وعلى سبيل المثال مقالته:

«The Scholastic Method in Medieval Education; Saeculum Vol. XLIX, 1974, pp. 640-661.

وعلى وجه الخصوص ص 641 - 661.

(3) أنظر على سبيل المثال مراجعة غويتاين لتحقيق بلاو لكتاب فتاوى ابن ميمون:

«Maimonides as Chief Justice», JDR, Vol. XLIX, 1958 pp. 191-204, Esp. p. 198 n. 25.

جنس ما كانت تمتاز به أمهم أو وقتهم<sup>(1)</sup>. وعليه قام المفهوم الكلامي الإسلامي الذي يرى أن القرآن أعلى من كافة الكتابات المقدسة ليس فقط من الناحية الدينية وإنما أيضاً من ناحية الأسلوب اللغوي أيضاً، لذلك فإنه لا يمكن تقليده من البشر «إعجاز القرآن»<sup>(2)</sup>. ولقد تبنى هذا التعظيم للغة اليهود في العصور الوسطى (فلقد كان موسى بن عزرا واحداً من الوسطاء) بل لقد أدى هذا التعظيم إلى إنعاش اللغة العبرية بينهم بل ولقد قادهم ذلك إلى محاولة البرهنة على أن العبرية ليست بأي حال أقل من اللغة الغنية التي كانت لجيرانهم المسلمين. بل حتى اعتقاد المسلم بأن لغة قريش، قبيلة النبي (ﷺ) كانت أفصح لغات القبائل الأخرى، أدت إلى حصول اليهود على صيغة مشابهة وذلك بالاعتقاد أن قبائل يهودا وبنيامين أو سكان القدس هم أفصح من تكلم بالعبرية<sup>(3)</sup>. وفي مثل هذه الحالات وما يشبهها ليس هنالك من شك أن اليهود قد تأثروا بالإتجاهات الإسلامية ذات الطبيعة الدينية الواضحة وليس هنالك من سبب يدعونا للافتراض أن مثل هذه المفاهيم يمكن أن تنبت بصورة طبيعية تلقائية وأصيلة في التربة اليهودية.

أما المثال الثاني فهو من مجال التاريخ: فلقد كانت ظاهرة غريبة، أجنبية على روح «أهل الكتاب» في أن يتفاخر بعض المتنبيين (أنبياء كذبة)، ممن ظهرُوا في ظل الإسلام، بأميتهم ولقد كانوا فخورين بادعاءاتهم أنهم يستطيعون الكتابة والقراءة. ولقد ظهر هذا النمط في اليهودية على وجه الخصوص مع

(1) أنظر صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الإيمان، الباب 70، ص 134، حديث رقم 219.

(2) أنظر الموسوعة الإسلامية مادة «إعجاز».

(3) أنظر مقال:

A.S. Halkin, «The Medieval Attitude Toward Hebrew» in A.Altmann (ed.) Biblical and Other Studies, Brandeis University, P.W. Lown, Institute of Advanced Studies and Textes I, Harvard University Press, 1963.

وكذلك أيضاً كتاب موسى بن عزرا المشار إليه سابقاً، ص 42، ص 54.

أبو عيسى<sup>(1)</sup>، وتكرر أيضاً مع ظهور متنبئين متأخرين بل إنها وصلت إلى اليهودية في أوروبا. فهل من الممكن توقع افتخار المسيح (المنقذ) بجهله؟ وهل من المتوقع أن يحترمه اليهود لجهله؟ وهكذا مرة أخرى نجد حالة واضحة لتأثير الإسلام ونقص ذلك تعبير «النبى الأمي» وهو لقب أعطي للنبي محمد، وذلك استناداً إلى تعبير قرآني غامض obscure ويحتمل أن يكون المعنى الأصلي لهذا التعبير هو أن محمداً يعتبر نفسه نبياً أرسل إلى كل الأمم، وعلى وجه الخصوص لتلك الشعوب التي ليس لها كتاب مقدس، ولكنه بعد ذلك فسّر هذا التعبير ليعني «النبى الذي لا يعرف القراءة والكتابة»<sup>(2)</sup>. ولقد استخدمت برهاناً في وجه من ادّعوا أن النبى محمداً لم يعلم كلام الله الحي وإنما يقص قصص القدماء (أساطير الأولين)<sup>(3)</sup> لذلك فإن «حقيقة» أن محمداً لا يستطيع الكتابة والقراءة قد استخدمت كبرهان أنه لم يكن يستطيع قراءة ما هو في كتب الأقدمين، وما قاله إنما هو وحي من الله نزل عليه. وانتقل هذا النمط إلى اليهودية، لكن حقيقة أنه نمط غريب على روح اليهودية يبرر لنا الافتراض بأنه كان نمطاً Motif إسلامياً احتاجه أنبيأؤنا الطالعون في ظل الإسلام على أمل الاعتماد على جهل الجماهير من حولهم. على أن هنالك بعض الأنماط للحركات المهدوية messianic، والتي كان يعتقد ولفترة طويلة أنها نتاج إسلامي، ليست بالضرورة

(1) أنظر الموسوعة اليهودية، مادة «أبو عيسى» و «Yuddghan» «severus» كذلك أنظر:

I. Friedlaender, «Jewish-Arabic Studies: Shi'ite Elements in Jewish Sectarism», JQR, 1919 p. 1183, 1911, p. 489.

كذلك أنظر:

M. Schreiner, «Notes Sur les Juifs dans l'Islam», REJ Vol. 29, 1894, p. 206ff.

(2) أنظر موسوعة الإسلام، مادة «أمي» وكذلك كتاب جولدتسيهر Vorlesungen المشار إليه سابقاً، الفصل الأول، ص 27، وما بعدها وكذلك:

W.M. Watt, Bell's Introduction into the Qur'an, Edinburgh, 1970. p. 33ff.

وربما كان هذا موتيف قديم له بعض الأصداء أيضاً في الأنجيل؛ أنظر:

A. Schimmel, Mystical Dimensions of Islam, Chapel Hill, 1975.

(3) أنظر السورة الرابعة، آية 25، والسورة السابعة، الآية 31، والسورة 16، آية 24، والسورة 23 الآية 83.

أن تكون ذات أصول إسلامية، فعلى سبيل المثال الاعتقاد Docetic بأن النبي الكذاب بعد موته اختفى في سرداب صخري أو في سحابة حتى يعود لاحقاً لنشر الحق في العالم. وبناء على الأسباب المنهجية التي ذكرتها سابقاً قد يفترض أن أصولها قد تكون في بعض أقوال الحكماء اليهود الأقل شهرة، أو قد تكون ابداعات طبيعية من داخل اليهودية نفسها، أو هي نتيجة تأثيرات أجنبية أخرى<sup>(1)</sup>.

أما مثالنا الثالث فهو من مجال مختلف كلياً. فلقد امتلك كل من اليهودية والإسلام نوعاً خاص من التراث الفقهي (الهالاخا) الذي يحقق ولدرجة كبيرة ما يحققه أو يقوم به في الثقافات الأخرى القانون المدون المكتوب، وأقصد بذلك ما يعرف بالفتاوى. إذ سرى هذا التراث على مجمل المقولات القانونية التي تم التوصل إليها كإجابة على أسئلة من أفراد (وفي الإسلام قد يكون هؤلاء أنفسهم من القضاة) ممن استخدموا تخصصهم ومعرفتهم بالفقه (ويسمى أمثال هؤلاء بالمفتين تفريقاً لهم عن القضاة). أما في اليهودية فإن المفتي

(1) أنظر كتاب Friedlaender السالف الذكر، الفصل الثاني وكذلك أنظر حول موضوع التوبة: E.E. Urbach, *The Sages*. Jerusalem, 1975, chp. XVII.

وعلى وجه الخصوص، ص 689. كذلك قد أكدنا أن دراسة مثل هذا النوع من الدراسات تتطلب الدقة والحيلة. لذلك حاول العلماء أن يؤكدوا على التشابهات، على الرغم من عدم وجودها البتة. فمثلاً أكدوا على أوجه الشبه بين القرائين Karaites في اليهودية والظاهرية في الإسلام أنظر:

(I. Goldziher, «Melanges Judeo-Arabs» IV. REJ, Vol. XLII, 1901, p. 6-7).

وفي حالة علماء آخرين تم تخيل أوجه شبه لا وجود لها. فمثلاً إن القرائين Karaite طالبوا بثبيت التقويم القمري بحسب الرؤية البصرية للهلال - وهو فعل ليس له أي علاقة بما تم في الإسلام، وإنما يعتمد على تقليد يهودي قديم. وفي المقابل، ربما تأثر القراءون بأكثر من اليهودية الحاخامية بالإسلام في بعض التفاصيل الأخرى من عبادتهم (مثلاً الصيام لفترات طويلة، الوضوء وخلع التعلين قبل الصلاة... الخ) - وربما بسبب أوجه تشابه سابقة للإسلام بالقرائين عن طريق الفرق اليهودية القديمة كما وضح في مخطوطات البحر الميت. لكن مع ذلك أنظر ردود القرائين واعتراضاتهم على الإسلام والتي كانت على وجه الخصوص عنيفة، أنظر الموسوعة اليهودية مادة «عنان بن أيّفد» و«القراءون» وكذلك قائمة المراجع المذكورة هناك.

هو في العادة من القضاة. ولهذه الفتاوى قوة قرارات الحكم في القانون، ولقد جمعت هذه الفتاوى في عشرات الكتب، والتي استخدمت، في اليهودية والإسلام، كمراجع قانونية يتم التوصل على أساسها لأحكام وقرارات تالية. صحيح أن هذا النوع من التراث القانوني (الفتاوى) كان أيضاً معروفاً في القانون الروماني، وافترض أن تراث الفتاوى اليهودي والإسلامي اشتق من هذه الممارسة الرومانية افتراض لا يمكن رفضه بسهولة. لكن مع ذلك، فإنه فيما يتعلق بالإسلام واليهودية، يصعب تأسيس أي ترتيب زمني بتيقن. وعموماً يمكننا أن نقول أن معظم الفقه الإسلامي تطور في العراق وأنه تأثر إلى درجة ما بنشاط الهالاخا اليهودي Halakhae والذي وصل قمته في جونيم Geonim، ويظهر أنه من المعقول أن نفترض، تمشياً مع افتراض غويتاين Goitein، أن تراث الهالاخا اليهودي المتطور ترك بصماته على النشاط الفقهي الإسلامي المبكر لكن من المحتمل أيضاً أن يكون تطور الهالاخا اليهودي قد لاقى دفعةً من ازدهار وتطور الإسلام<sup>(1)</sup>. إضافةً إلى ذلك فإنه ينبغي لنا أن نتذكر دائماً أن الإسلام كانت له احتياجات شبيهة بتلك التي واجهت اليهودية، بحيث برز تراث فقهي يقوم على الفتاوى في الإسلام. والعكس صحيح أيضاً. فإن الثورة الاجتماعية - الاقتصادية التي واجهت اليهود في ظل الحكم الإسلامي (وتحولهم من الزراعة إلى التجارة) قادهم إلى تبني قوانين شبيهة بتلك التي في الإسلام، والتي كما هو معروف، نتاج الطبقة الوسطى في حضارة ذات صبغة

(1) أنظر:

J. Schacht, An Introduction into Islamic Law, Oxford, 1964, p. 20-21; S.D. Goitein, Jews and Arabs, p. 61-69.

وكذلك مقالة:

«Introduction into Islamic law» in, Goitein-Ben Shemesh, Muslim Law in Israel. Jerusalem, 1957.

وللاطلاع على وجهة نظر مختلفة فيما يتعلق بموضوع الفتاوى أنظر:

E.J. Rosenthal, Judaism and Islam, Popular Jewish Library 1961, p. 55; M.A. Friedman, «The Ransom Divorce Proceedings in Medieval Jewish Practice»; Israel Oriental Studies, VI, 1976, p. 288-307 esp. p. 298-299.

وكتاب N. Wieder التأثيرات الإسلامية على العبادة اليهودية (بالعبرية) أكسفورد 1957.

تجارية<sup>(1)</sup>.

ويغض النظر عن السبب، تبقى حقيقة أن اليهودية والإسلام ربما كانا الدينين الوحيدين اللذين لهما نشاط فقه في العالم. ولكليهما قانون شفوي مقدّس، كما ذكرنا سابقاً، بالإضافة إلى القانون المكتوب. ولقد وجد كُلُّ منهما تراثاً فقهياً عظيماً، وذلك عن طريق القياس المنطقي غالباً. وفي كليهما كان هذا عمل خبراء مستقلين (الفقهاء أو العلماء في العربية) وظهرت في كُلِّ منهما مدارس فقهية مختلفة كلها معبّرة عن الجماعة، وبنفس الدرجة. والاهتمام الديني في كُلِّ من الدينين إنما يقوم على القانون الديني (الفقه) الذي يعتبر المقدس، بل وفي الدينين أن الله نفسه يأمر بهذا النشاط، ويستخدم كلا الدينين نفس الطرق المنطقية في الاستنباط ولها نفس المبادئ العامة (أنظر مثلاً فكرة «أن الشورى مفضلة» في التلمود البابلي، في سفر بارخوت (60أ) وفي نهاية سورة البقرة) وكذلك لهما تصنيفات متشابهة لأفعال البشر وعشرات التفاصيل القانونية المتماثلة<sup>(2)</sup>. إضافةً إلى ذلك فإن الدينين انتهجا تراث الفتاوى العظيم الذي ذكرناه والذي ازدهر بالذات بعد قفل باب الاجتهاد المستقل (ويسمى قفل باب الاجتهاد في الإسلام وفي اليهودية «راف أشي ورافينا مشهوران بمقولتهما - نهاية الحكم» باب ميتستا 186أ). ومع ذلك فإنه من المستحيل أن نقرر بصورة يقينية متى ظهر هذا النوع من التراث العلمي لأول مرة وما إذا كان نتيجة تأثير أحد الدينين على الآخر. فلم تكن الفتاوى اليهودية تذكر قبل المربي يهودا جاعون (في منتصف القرن الثامن) وكذلك لم تكن موجودة في الإسلام، إذ لم تكن حتى ذلك التاريخ سوى بعض الفتاوى «الخاصة» من علماء أمثال إبراهيم النخعي الكوفي، الذي عاش في القرن السابع. ويعتقد بعض الباحثين

(1) أنظر:

S.D. Goitein, A Mediterranean Society, Vol. I. (Economic Foundations), University of California Press, esp. Jewss and Arabs, p. 89ff. Chaps, II, III.

(2) أنظر:

R. Brunschvig, «Hermeneutique Normative dans le Judaïsme et dans l'Islam», Atti della Accademia Nazionale dei lincei, eccLXXII, 1975, Roma, 1976, p. 1-20.



أن هذا التراث العلمي كان موجوداً في التلمود، وأن جونيم إنما أوجد نوعاً من الاستمرارية للحكماء اليهود الدعاة. ويعني هذا الافتراض أن فكرة الفتاوى دخلت على الإسلام من اليهودية، لكن المسألة تحتاج إلى تحقيق وتدقيق ودراسة ولقد أظهر جولدتسيهر في المقابل أنه في بعض التفاصيل على الأقل - يمكن البرهنة على تأثير تراث الفتاوى الإسلامية في اليهودية بكل يقين - فغالبية الفتاوى اليهودية في الأقطار الإسلامية كتبت بالعربية، وكانت الأسئلة الموجهة للحكماء قد وردت من جميع أنحاء العالم، وهي غالباً ما تكون بهذه البداية: «ليعلمنا مولانا وليعطه ربنا من فضله أجري». لكن لماذا ينبغي أن يحصل الحكيم على أجرين؟! لقد أوضح جولدتسيهر أن هذه الصياغة إنما قامت على الحديث النبوي الذي يقول: «إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران، أما إن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد» وذلك على اجتهداه فقط! إن اليهود الذين استخدموا هذه الصياغة، إنما كانوا على ما يظهر، يرغبون في التبرك للوصول إلى القرار أو الرأي الصحيح<sup>(1)</sup>.

وهناك العديد من الأمثلة على هذا النوع من تراث الفتاوى والذي يظهر فيه التأثير الإسلامي على الهوية، حتى وإن كان احتمال أن هذا النوع من النشاط الديني قد بدأ في الإسلام أساساً تحت تأثير يهودي. فكما هو معروف، يحرم التراث الديني اليهودي عزف أي آلة موسيقية كحداد على خراب المعبود ولقد ظهر نفس التحريم - وبنفس الحجج - في التراث العربي المبكر، وكذلك في التراث الديني اليهودي المتأخر الذي انتعش في ظل ابن ميمون. ولكن مع ذلك، فإنه أثناء هذه الفترة، فيما بين سعديا جاعون وابن ميمون، أضيف نوع من الحجج غريب: يربط بين طرق حياة الموسيقيين والمغنيين اللاأخلاقية (وبالذات المغنيات)، الذين يفترض أنهم يقودون الناس إلى الرذيلة وارتكاب الفواحش. وواضح أن هذا يعكس الموقف الإسلامي والديني السلبي إزاء

(1) أنظر:

I. Goldziher, «über eine Formel in der jüdischen Responsa Literature und in den Muh. Fatwas», ZDMG, Vol. LIII, 1899, p. 645-652.

وكذلك أنظر ال Summae المسيحية الوسيطة 14 Issiah LVIII.V التي استخدمت الصيغة

«Respondeo dicendumquod».

الموسيقى (باستثناء بعض الصوفية الذين طوروا نوعاً من الموسيقى الدينية). بل لقد رفض علماء مسلمون سماع شهادة المغنين والموسيقين من حيث إن مهنتهم قد جعلتهم غير جديرين بالشهادة. ولقد اتبع حكماء اليهود هذا. . ومنعوا ورفضوا شهادة المغنين في المحاكم حيث اعتبروهم خارجين على الأخلاق<sup>(1)</sup>.

IV. وفي ختام مقالتي هذه أود أن أذكر موضوعاً شيقاً خاصاً بالرَّبِّي إبراهيم ابن موسى بن ميمون، الذي تولى بعد والده رئاسة الجالية اليهودية في مصر (1204 - 1237) أو بصورة عامة، تأثير التصوف الإسلامي على اليهودية. فالتصوف<sup>(2)</sup> وراثته الديني الرائع، الذي يعد من أروع ما أنتجته الإنسانية، كان له تأثير كبير على اليهود، الذين انجذبوا إليه أكثر من انجذابهم إلى الفلسفة العربية. ولقد وجد هذا التأثير والانجذاب التعبير عنه في الأدب<sup>(3)</sup>. وكذلك حقيقة أن يهوداً انضموا إلى هذه الجماعات الصوفية. وتؤكد هذه الحقيقة الأخيرة المصادر الإسلامية وكذلك رسائل الجنيزا اليهودية. من ذلك الرسالة الحزينة التي نشرها جويتاين من امرأة يهودية فقيرة إلى نجيد داود (ربما كان داود ميمون الثالث، الذي أصبح في منتصف القرن الرابع عشر واحداً من كبار يهود مصر) تستعطفه فيها أن يساعدها لإعادة زوجها بشير (ولقد كان اليهود

(1) أنظر تحرير برنارد لويس «كتاب فتاوى Gaonic» المجلد العاشر الفارسي، 1941 ص 10، الفتوى رقم 20. أما بالنسبة للموسيقى في الإسلام فأنظر الآن:

A. Shilosh, «The Dimensions of Sound» In B. Lewis (ed.) The World of Islam, London, 1976 esp. p. 168.

كذلك أنظر موسوعة الإسلام مادة «عدل» ومادة «شهادة» وكذلك أنظر:

Th. W. Juynboll, Handbuch des Islamischen Gesetzes, Leiden, 1910, p. 316.

(2) أنظر:

A. Schimmel, Mystical Dimensions of Islam, Chapel Hills 1975. L.A.H. Nicholson, The Mystics of Islam, London 1914, and A.J. Arberry, Sufism, London 1950.

(3) أنظر على سبيل المثال:

G. Vajda, La Theologie Ascetique de Bahya ibn Paquda, Cahiers de la Societe Asiatique VII, Paris, 1947. F. Rosenthal, «A Judaeo-Arabic work under Sufi Influence: HUCA, Vol. XV, 1940, pp. 443-484. J.Z. Werblowsky, «Faith, Hope and Trust: A Study in the Concept of Bittahon», Annual Jewish Studies, London, 1964, p. 118ff.

بطبيعة الحال يستخدمون أسماءهم العربية) من صحبة الفقراء (أي الصوفية). فلقد ترك بشير زوجته وأطفاله وسكن في أحد الخواثق الصوفية في جبل بالقرب من القاهرة. ولقد عبرت زوجته عن خوفها أنه ربما لن يقوم بتعاليم الوصايا بل قد ترك دينه، وربما قلّده أبنائه الثلاثة<sup>(1)</sup>.

وكما ذكرنا فقد وجدت شذرات من الأعمال الشعرية والنثرية للمتصوفة المسلمين في لغاتها الأصلية لكن بالحرف العبري في أوراق الجنيزا، ويقول إبراهيم جافيسون التلمساني من تونس (المتوفى 1605) وذلك في تفسيره للأمثال أنه «يجب أن يكون كل متعلم قد تأثر بفلسفة أبي حامد الغزالي» الذي درس كتبه العديد من العلماء اليهود<sup>(2)</sup>. فلقد كان الغزالي، بطبيعة الحال، ليس مجرد واحد من اعظم مفكري الإسلام وإنما أيضاً واحداً من أعظم متصوفيه.

وربما كان من المفيد هنا أن نلاحظ أن اليهود استوعبوا التأثير الصوفي على الرغم من أن التراث الصوفي لم يحدث أي تغير يذكر في موقف المسلمين من اليهود أو «الذمين». بل إنه بطريق ما أدى أو قاد إلى ازدياد كل أشكال الشعائر الدينية وكافة أنواع الفروق المصطنعة بين الأديان المختلفة، لمن يبحث عن تجربة حقيقية ومعرفة صوفية بالله<sup>(3)</sup>. وعلينا أن نؤكد مرة أخرى أن الشعراء الكتاب اليهود لم يصلوا قط إلى نفس الدرجة المتطرفة من الوله (الشطح) التي حاول أن يصل إليها المتصوفة المسلمون، مما دفع بعضهم إلى تحطيم الحواجز بين الأديان وبين الخير والشر بل وحتى بين الله والإنسان.

وقصة إبراهيم بن ميمون، توضح لنا واحدة من أغنى فترات التاريخ لهذا التأثير وربما كان من المفيد أن نذكرها باختصار هنا، على الرغم من وجود العديد

S.D. Goitein, «A Jewish Addict to Sufism» JOR. Vol. XLIV, 1953, pp. 37-49. (1)

(2) «Omer Hashikhha» بالعبرية Livorno، 1748، ص 138.

(3) أما فيما يتعلق بالتأثيرات الهندية على اليهود والمسلمين فأنظر دراستنا:

Studies in Al-Chazzali, Ch. VII.

وكذلك أنظر: S.D. Goitein, «A Jewish Addict».

من الدراسات اليهودية حول إبراهيم هذا وهي منشورة بالاضافة إلى تحقيق وترجمة لمعظم أعماله.

لم يكن إبراهيم بن ميمون، الذي ورث منصب رئيس اليهود عن والده، والذي توفي عام 1237م مجرد قائد وفقه يهودي (أنظر فتاويه التي نشرها فريدمان وغويتاين) وإنما كان أيضاً متصوفاً عظيماً. ولقد كتب ديواناً شعرياً صوفياً عظيماً باسم «كفاية العابدين». ولقد حاول في ديوانه هذا أن يحول جيله إلى التصوف وأن يبرهن لهم، وذلك بالاعتماد على العديد من الاقتباسات من المصادر اليهودية، أن التصوف هو الطريق الحق للمؤمنين. يختلف الباحثون المعاصرون فيما يتعلق بأرائهم حول مصادره في هذا الكتاب، لكن مما لا شك فيه هو أنه تأثر بصورة عميقة بعالم التصوف، الذي ارتبط به ارتباطاً قوياً في مصر. وليس هذا المكان الذي يمكن أن نعالج فيه عقيدة إبراهيم بالتفصيل لكن قد يكون من المفيد أن نذكر بعض الملاحظات العامة حول افتراضاته، وهي ممتعة جداً، حتى لمن يرفضون القبول بها. فلقد رأى الربّي إبراهيم أن الإسلام، وبالذات تصوفه، احتفظ بالعديد من عناصر الممارسات والتعاليم التي لقدها الحكماء اليهود. ومن هذه العناصر الركوع والسجود في الصلاة، والاعتكاف الروحي أو الخلوة والتهجد. إلخ - وهي العناصر التي تجاهلها الحكماء اليهود وبتعمّد. وفي المقابل، تبنّى الإسلام العديد من هذه الممارسات وكذلك تبنّى الشعور الدائم بالحضور باليوم الآخر والزهد في الدنيا. وهذه العناصر قد تطورت في عالم الإسلام بطريقة خاصة في الحركة الصوفية لذلك فإنها ذات علاقة وطيدة بأفكار الحكماء اليهود القدماء<sup>(1)</sup>.

(1) أنظر:

S.D. Goitein, «Abraham Maimondes and his Pietist Circle», in A. Altmann (ed.), Jewish Medieval and Renaissance Studies, P.W. Institute of Advanced Jewish Studies, Brandeis University, Studies and Texts IV, Harvard University Press, 1967, pp. 145-164.

كذلك لاحظ السرد الجيولوجرافي الموجود في الحاشية رقم واحد.

كذلك أنظر مقالته:

= «A Treatise in Defence of the Pietists by Abraham Maimonides» JJS, Vol. 16, 1966, pp.

لذلك فلقد أكد الربّي إبراهيم، قبل أكثر من سبعمائة وخمسين سنة، على الآراء المعاصرة اليوم بين دارسي الإسلام، ونقصد بذلك، أن العقيدة الإسلامية المبكرة يمكن أن تكون ذلك علاقة بالمصطلحات الدينية والموضوعات والأفكار التي كانت تتبناها فرقة البحر الميت والفرق المسيحية الهرطقية المبكرة ومجموعات أخرى مماثلة<sup>(1)</sup>.

على أن الربّي إبراهيم لم يكتف بهذه الدراسات النظرية فقط. فلقد دفعه اعتقاده إلى أن يطالب بالعودة مرة أخرى إلى عادات الأجداد والأسلاف وذلك

406-407.

=  
أنظر

G. Cohen, «The Soteriology of R. Abraham Maimonides PAAJR, Vol. 35, 1967, pp. 75-98, Vol. 36, 1968, pp. 33-48.

(لقد حاول كوهين أن يقلل من التأثير الإسلامي على إبراهيم بن موسى بن ميمون). وهناك ترجمة محققة لأجزاء من كتاب إبراهيم بن ميمون «كفاية العابدين» موجودة في كتاب: S. Rosenblatt (ed). The High Ways to Perfection of Abraham Maimonides I, New York, 1927, II, Bettimore, 1938.

(1) أنظر:

C. Rabin, Qumran Studies, Oxford, 1954. Chp. IV.

كذلك أنظر:

M. Philonenko, «Un expression qumraienne dans le Coran», Atti de Terzo Congresso Di Studi Arabic Islami, Ravello, 1966, Napoli, 1969, pp. 553-556.

أو:

H. Nibley, «Qumran and the Companions of Cave Rerve de Qumran, Vol. V. 2(18) 1965. pp. 177-198.

يعالج نيبلي بصورة موسعة رواية الثعالبي لـ «قصص الأنبياء» أكثر من معالجته رواية القرآن لها، أنظر:

E.F.F. Bishop, «Qumran and the Preserved Tables», 253-256.

ولنفس المؤلف:

The Qumran Scroll and the Quran; Muslim World, Vol. XLVIII, 1958.

وانظر أيضاً:

N. Wieder, The Judean Scroll and Kariatem, London, 1962.

عن طريق تقليد المحيط المسلم، مثلاً، في الصلاة. وفي أحد أجزاء كتابه العظيم يقترح إزالة المساند من الكنيس وتوزيع سجاجيد الصلاة على الأرض كما هو الحال في المساجد<sup>(1)</sup>. واقترح أيضاً الركوع كما هو الحال في صلاة المسلمين. وفسّر أيضاً الآية: «يقفون متراسين» (بالعبري: فوقيص) ويركعون في اتساع من المكان» كما لو أن المعنى «متراسين» أي في صفوف، ويمتدح الصمت المحترم في المساجد الذي كان على نقيض الضوضاء غير المبجلة والصخب الذي تميزت به المعابد اليهودية في ذلك الزمن. وكما نعلم من وثائق الجنيزا، فإن خطة إبراهيم فشلت مع ذلك. إذ رفع أعضاء الجالية اليهودية شكوى ضده إلى الملك العادل، أخ ووريث صلاح الدين الأيوبي موضحين أنه (أي إبراهيم) كان يحاول إرغامهم على تبني بدعة محرمة في دينهم. وكان هذا محرماً في الشرع الإسلامي، الذي كان يطبّق في مثل هذه الحالات أيضاً على غير المسلمين من الجاليات التي تعيش في ظل حكمه. لذلك أجبر إبراهيم أن يعتذر للحاكم المسلم وأن يعلن توبته وأنه لن يسيء استخدام سلطته باعتباره

(1) قد يكون من المهم أن نشير هنا بأنه من عدة جوانب هناك الكثير من صلة القرابة بين الكنيس والمسجد أكثر من وجوه الشبه بين الكنيس والكنيسة وبالذات الكنيسة الكاثوليكية. على سبيل المثال التحريم المشترك للرسوم والتماثيل للناس والحيوانات التي تعتمد على سفر الخروج XX، الآيات 4، 5 أو على السورة الرابعة، الآية 91، والتعليقات التي عليهما. كذلك أنظر:

K.A.C. Creswell, «The Lawfulness of Painting in Early Islam» *ARS Islamica*, Vol. XI, 1964, pp. 159-166,

وموسوعة الإسلام مادة «صورة»، وكذلك أنظر المراجعة العام التي قام بها:

R. Ettinghausen, «Decorative Arts and Paintings, Their Character and Scope» in J. Schacht C.E. Bosworth (eds.): *The Legacy of Islam*, Oxford, 1974, p. 274ff.

وكذلك السرد الجيولوجرافي المذكور في نهاية المقالة، ص 200 - 290. وهناك تفاصيل مهمة يمكن أن تضاف هنا: أولها أن الشريعة في كل من اليهودية والإسلام تسمح بالتصوير والنحت إذا ما بُرِّرَ أو وُضِعَ على الأرض ليدعسها الناس (حتى لا تعبد!) وثانياً: الفكرة العامة التي عبّر عنها التلمود البابلي، بارخوت، 10أ، هي أن الله وحده هو الذي يخلق الكائنات الحية (في مقابل رسومات البشر الميتة) قد تحول في حديث نبوي إلى عقاب للرسمين، الذين سيسألون يوم القيامة بأن ينفخوا الروح فيما رسموه، وبطبيعة الحال، لن يستطيعوا ذلك.

«رأس الجالوت» للطائفة اليهودية وذلك عن طريق إدخال بدعٍ عليها.

معظم الأمثلة التي ذكرناها معروفةٌ جداً<sup>(1)</sup>. على أن قلّة استخلصوا منها النتيجة الضرورية فالأكثريّة ترى أن «الثقافة اليهودية العربية» ينبغي أن تعامل كمجرد ثقافة يهودية عبّرت عن نفسها بالعربية. بينما الصحيح أنه ينبغي أن تُدرس على أنها ثقافة إسلامية عامة رعاها اليهود الذين عاشوا تحت حكم الإسلام وتكلموا العربية وتأثروا بعمق، ليس فقط ببعض جوانب الحضارة الإسلامية، مثل الفلسفة الإسلامية، وإنما تأثروا بالإسلام كدين في أوسع معنَى للكلمة.

(1) بطبيعة الحال هناك عدد غير محدود من الأمثلة والموضوعات ذات العلاقة التي لا يمكننا الإشارة إليها هنا، لذلك فإن دراسة المشترك في مسألة زيارة القبور بين اليهودية والإسلام مجال مهم وممتع للدراسة (والتي غالباً ما تكون مقابر وثنية أو مسيحية قديمة) أنظر دراسة:

S.D. Goitein, *Jews and Arabs*. Ch. VII, 66, p. 187ff.

وكذلك:

L. Voinot, *Pelerinage Judeo-Musulmans du Maroc*, Paris, 1948; I. Goldziher, «The Veneration of Saints» in *Muslim Studies*, Vol. III, London, 1971, pp. 277-341,

وكذلك:

G.F. Grunebaum, *Muhammadden Festivals*, New York, Ch. IV.

وبطبيعة الحال الأكثر أهمية دراسة الفروق بين اليهودية والإسلام أنظر مقالتي التي ستصدر قريباً عن: «Some Differences Between Halakha and Shari'd».